الباب التاسع

القدس تحت الإحتلال الصهيوني العنصري الجزءي والكلي

تاريخ الإستيطان الصهيوني في القدس

الباب التاسع

القدس تحت الإحتلال الصهيوني العنصري الجزءي والكلي

تاريخ الإستيطان الصهيوني في القدس

في عام 1863 م نشأت أول بلدية في القدس. وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت الأحياء اليهودية تظهر طابع هذه الحدود، لتبدأ في رسم الحدود السياسية لمدينة القدس، ومن أجل هدف أيديولوجي أقيم حي (يمين موشيه) عام 1850م في منطقة جورة العناب ليكون نواة لأحياء يهودية تقام خارج الأسوار باتجاه الجنوب الغربي والشمال الغربي والغرب، ثم أقيم حي (مئة شعاريم) في منطقة المصرارة، و(ماقور حاييم) المسكوبية في عام 1858م[1].

الفكر الغربي وأثره في الفكر الاستيطاني الصهيوني

يؤمن المذهب البروتستاني بالعهدين القديم(التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) وأن اليهود يستقون مبادئهم من العهد القديم (التوراة) فقد كان له أثر واضح في تعاليم البروتستانت الذين ساندوا الفكر اليهودي، القائل بأنهم (شعب الله المختار) وأن فلسطين هي أرض الميعاد بالنسبة لهم، فعملوا على ترسيخ هذه الفكرة لدى هذه الطائفة ودعموا الفكر الصهيوني المنادي بهذه المبادئ.

التقت المصالح السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والمصالح المشتركة بين جميع الأطراف وصبت في مصلحة واحدة، ووجدت ضالتها في فلسطين، حيث كان الفكر الغربي منذ البدايات يعمل على تهويد فلسطين.

---

(1) خوري،جريس سعد، عدنان مسلم، موسى درويش، **القدس دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية**، ط1 القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراث في الأرض المقدسة، 1996م مقال، خليل التفكجي، ص 360.

فرنسا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

حيث أن فرنسا كانت من أولى الدول التي سعت إلى تحقيقه فقد وجه (نابليون بونابرت) نداءه الأول في تموز سنة 1798م لاستعمار الشرق، وليحول دون التمدد البريطاني في هذه البلاد، فقد حث اليهود على التوجه إلى القدس وإعادة بناء (هيكلهم المزعوم) حيث خاطبهم بتسميتهم (الورثة الشرعيين لفلسطين) لقاء التفافهم حوله ومساعدتهم له في غزو فلسطين، وبهذا تكون دعوة نابليون أول دعوة دقت باب الاستيطان الصهيوني في فلسطين.

بريطانيا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

كان الصراع العسكري بين فرنسا وبريطانيا، ويحشد كل من هاتين الدولتين قواته صوب الشرق من أجل بسط نفوذه وسيطرته على فلسطين وتنفيذ أهداف ومخططاته الاستعمار.

كان من أبرز المتشجعين لهذا المشروع (اللورد شافتزبري)1801م-1885م الذي نادى بإنشاء مستوطنات لليهود في فلسطين، وقدم مشروعاً بعنوان "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" بحماية وفي عام 1838م أصدر الحكومة البريطانية مرسوماً تبنت فيه منح اليهود حق الحماية في فلسطين، سعت الحكومة البريطانية لإقناع الحكومة العثمانية، بضرورة السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين، للاستفادة من ثرواتهم المالية، بيد أن الحكومة العثمانية رفضت هذا العرض.

ألمانيا والاستيطان اليهودي:

سعت ألمانيا عندما قدم ملك بروسيا (ويلهلم الثالث) سنة 1840م مبادرة لوضع فلسطين تحت الحماية البروسية، لكنها فشلت بسبب رفض المستشار النمساوي مترنيخ لهذه المبادرة، وتم فتح أول قنصلية لبروسيا في القدس سنة 1840م ومنحت الحماية لكل يهودي يريد اللجوء إليها.

أمريكا والاستيطان اليهودي في فلسطين:

لعبت أمريكا دوراً هاماً في تشجيع الحركة الصهيونية للاستيطان في فلسطين، وكان على رأس هذه الحملة (وليم بلاكستون) الذي كان متعصباً للفكرة الصهيونية المنادية بجعل فلسطين، وطنا لليهود، ونشط في هذا المضمار بالكتابات هو وغيره من القادة الأمريكيين الذين كانوا ينادون بجعل فلسطين وطناً لليهود.

شكل اليهود المؤسسات والجمعيات التي أخذت تنادي وتعمل ليل نهار بجميع الإمكانيات المادية والإعلامية على إنشاء وطن لليهود في فلسطين وتشجيع الهجرة، فتم تأسيس جمعية الأليانس (التحالف اليهودي العالمي سنة 1860م وجمعية الاستيطان اليهودي التي أخذت تنشر الوعي بين اليهود خاصة في الشرق الأوسط لتثقيف اليهود على التوجه إلى فلسطين، كما نشأت جمعية البيلو وجمعية أحباء صهيون وغيرها من الجمعيات والمؤسسات الصهيونية في أنحاء العالم

في عام 1897م عقد المؤتمر الصهيوني في بال بسويسرا برئاسة هرتزل، ودعا إلى إقامة وطن لليهود في فلسطين، وقد تم إنشاء "صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار" الذي يهدف إلى دعم مشاريع الهجرة والاستيطان في فلسطين.

التواجد اليهودي في فلسطين في العهد العثماني:

في عام 1856م صدر القانون العثماني الذي أعطى الطوائف التابعة للرعية العثمانية الحق في الحياة الطائفية المستقلة الدينية والقضائية....

في عام 1827 م زار (السير موسى مونتفيوري) فلسطين فوجد فيها حوالي 500 يهودي فطلب من الباب العالي السماح له ببناء سبعة وعشرين كوخاً في الجانب الغربي الجنوبي للقدس.

في عام 1881 م سمحت السلطات العثمانية لليهود بالهجرة، باستثناء فلسطين

كان أكبر الهجرات اليهودية إلى فلسطين الهجرة الأولى بين عـام 1882 م – 1904 م والهجرة اليهودية الثانيـة 1905 م – 1914 م وهاتـان الهجرتـان تعتـبران التوطئـة الكـبرى للهجرات اليهودية تبعهما وعد بلفور المشئوم 1917م الذي اعترف بحـق اليهـود بتأسـيس وطن قومي لهم في فلسطين.

المستعمرات اليهودية في فلسطين في هذه الفترة

أنشأت جمعية الأليانس اليهودية أول مستعمرة لها عام 1870، وأنـشأت اليوشـفين 20 مستعمرة زراعية سكنها 720 عائلة يهودية وكان عدد سكانها حوالي 6000 نسمه.

"ففي عام 1919م كان يوجد أربعون مستعمرة يسكنها عشرة آلاف نـسمه، أي أن عدد اليهود كا ن 80000 نسمه أي 5و12 ٪. وحتى وعـد بلفـور لم تكـن نـسبة اراضـيهم أكثر مـن 5و1 ٪ أراضـي فلـسطين. أي أنهـم كـانوا يزرعـون أقـل مـن 1٪ مـن مـساحة فلسطين.[1] فما ينطبق على فلسطين ينطبق على القدس.

مراحل الاستيطان اليهودي في القدس

لم يكن ارتباط اليهود بفلسطين حتى مطلع القرن التاسع عشر سوى ارتبـاط ديـني أو عاطفي سيما في الأماكن المقدسة، ، إذ لم يزد عدد اليهود حتى القرن التاسع عشر يزيـد عن ألفي نسمه.

المرحلة الأولى من مطلع القرن التاسع عشر حتى عام 1917 م.

يعود تاريخ هذه المرحلة إلى عهد حكم إبراهيم بن محمد علي باشا لفلـسطين عـام 1831م- 1840م، حيث عملت الحكومتان الاستعماريتان فرنسا وبريطانيـا علـى تـشجيع الهجرة اليهودية والاسـتيطان اليهـودي في فلـسطين، وقـد تعـدى هـذا الـشأن إلى مرحلـة استئجار 200 قرية من قرى الجليل لليهود لتأهيل هذه القرى للزراعة الحديث.

---

(1) بيان نويهض الحوت، سبق ذكره، ص 411.

فكما ورد سابقا بأن السير موسى منتفيوري طلب من السلطات العثمانية شراء قطعة ارض غرب جنوب المدينة المقدسة لإيواء بعضا من اليهود البائسين فيها، وتم له ذلك، فكان أول حي يهودي في القدس سمي بحي (مشكانوت شنائم).

أقيم فيما بعد أحياء استيطانية يهودية خارج أسوار القدس مثل (معسكر إسرائيل) عام 1867 م... توالت الأحياء اليهودية في الازدياد سنة تلو أخرى، وامتدت هذه الأحياء اليهودية الاستيطانية من الجهة الشمالية والشمالية الغربية للقدس.

أدرك أبناء القدس خطورة الوضع حيث تقدموا بشكوى إلى الصدر الأعظم في الآستانة عام 1891م "يعبرون في هذه الشكوى عن تخوفهم من وصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود، ويطالبون بمنع اليهود من الدخول إلى فلسطين، وقد تجاوبت الآستانة مع مطالب أبناء بيت المقدس فأمرت متصرف القدس بمنع تسرب الأراضي الأميرية، وعدم بيع الأراضي في متصرفية القدس لليهود.

بعد انعقاد مؤتمر بال في سويسرا عام 1897م، تضاعفت جهود اليهود في تأسيس المؤسسات المالية، وبنوك وصناديق جمع التبرعات لصالح الحركة الصهيونية، فبعدما كانت أملاك اليهود خارج القدس 694 دونما عام 1860 م أصبحت 4130 دونما عام 1918م. بعد أن تم ضم المستوطنات خارج السور إلى بلدية القدس، المرحلة الثانية، من 1918م حتى نهاية الحكم البريطاني لفلسطين.

على إثر دخول القوات البريطانية القدس عام 1917م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان للحكومة البريطاني أكبر الأثر في تشجيع الهجرة اليهودية والاستيطان إلى هذه البلاد، فبمجرد دخول الجنرال البريطاني (أللنبي) القدس، طلب من مهندس الإسكندرية "مالكين" الحضور إلى القدس فقسم المدينة إلى أربعة مناطق، البلدة القديمة وأسوارها، المنطقة المحيطة بالبلدة القديمة، والقدس الشرقية، والقدس والغربية.

أما المخطط الثاني لحدود بلدية القدس فقد وضع في عام 1946 م بقصد توسيع منطقة خدماتها، غير أن التوسع تركز أيضاً على القسم الغربي حتى يمكن استيعاب وضم

الأحياء اليهودية الجديدة، التي بقيت خارج منطقة التنظيم لعام 1931م وفي الجزء الشرقي، أضيفت قرية سلوان من الناحية الجنوبية، ووادي الجوز، وبلغت مساحة المخطط 119، 20 دونما توزعت ملكية أراضيها كما يلي:

1	أملاك عربية	٪40
2	أملاك يهودية	٪26و12
3	أملاك مسيحية	٪ 13و86
4	أملاك حكومية وبلدية	٪2و9
5	طرق وسكك حديدية	٪17و12
	المجموع	٪100 ([1])

اعتبرت الحكومة البريطانية أن القدس الغربية هي منطقة تطوير، فلم يسمح بالبناء خارج أسوار القدس، بينما كانت سخية في منح اليهود ألف دونم من أراضي مدينة القدس، وفي مدينة القدس (ضمن حدود البلدية في ذلك الوقت) ازداد عدد السكان اليهود ممن 34100 إلى 53800 نسمه، كما تم إنشاء عدد من المستوطنات الزراعية حول القدس الكيبوتسات.

كان من أهم العوامل التي شجعت تدفق الاستيطان اليهودي في القدس في هذه الحقبة، هو وعد بلفور الذي أعطى امتيازات هائلة لليهود في هذه البلاد، ولم تخرج بريطانيا من هذه البلاد عام 1948م، إلا بعد أن تم تأمين الكيان اليهودي بشكل كامل أرضاً وشعباً وحكومةً.

(1) جريس خوري وآخرون، مصدر سابق، ص 361.

لم تكتف المخططات البريطانية، بذلك بل راحت لتسلخ فلسطين عن العالم العربي وتهيئ البلاد للاستيطان اليهودي، فخلال المباحثات أيضا مع الشريف حسين، أعطت بريطانيا وعد بلفور الذي ينص على إنشاء كيان لليهود في فلسطين. [1]

(1) أحمد العلمي، سبق ذكره ص 172.